بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ}** [سورة البقرة: ٢].

في هذه الفقرة من الآية الشّريفة عدّة مطالب:

المطلب الأوّل: في المراد بالكتاب

لا ريب أنّ عنوان الكتاب الواقع في القرآن الكريم هو إشارة إلى عنوانٍ جامعٍ لكلّ ما هو مقدّر من قِبله تبارك وتعالى، أي أنّ هناك درجةً ومرتبةً مِن مراتب علمه تعالى وهي عبارة: عن مرتبة الإحاطة بجميع الموجودات، وهذه المرتبة مِن علمه هي كتابه تبارك وتعالى، وقد أشار إلى ذلك:

١-بقوله عزّ وجلّ: **{يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ}** [سورة الرعد: ٣٩].

٢-وبقوله تبارك وتعالى: **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [سورة الزخرف: ٤].

وقد أشارت بعض الرّوايات الشّريفة إلى هذه المرتبة من مراتب علمه الفعليّ تبارك وتعالى:

منها: ما في تفسير علي بن ابراهيم، قال: قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِالله (عليه السلام) قَالَ: **(أَوَّلُ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَكَتَبَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**. [تفسير القمي، دار الكتاب، قم المقدّسة، ج٢، ص١٩٨].

والتعبير بالقلم تعبير كنائيّ؛ إذ ليس هناك قلم يكتب، بل هو كناية عن مرتبة من مراتب علمه الفعليّ تبارك وتعالى، الذي هو عبارة عن الإحاطة بتمام ما يُوجد وما وُجد.

ومنها: ما عن ابن عباس، قال: **(إِنّ أول مَا خلق الله مِن شَيْء الْقَلَم، فَأمره أَن يكْتب مَا هُوَ كَائِن إِلى يَوْم الْقِيَامَة وَالْكتاب عِنْده، ثمَّ قَرَأَ {وَإِنَّهُ فِي أم الْكتاب لدينا لعليّ حَكِيم})** [تفسير الدرّ المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ج٧، ص٣٦٦].

فعنوان الكتاب عنوان جامع لتلك المرتبة من الإحاطة والعلم الفعليّ.

ولكن، ما تحقّق في عالم الوجود متفرِّعاً عن تلك المرتبة من العلم الفعليّ له عدّة مصاديق أشار إليها القرآن الكريم؛ فما ذكر في القرآن الكريم لمعنى الكتاب ليس معاني متعدّدة للكتاب، بل هو إشارة إلى مصاديق ما تفرّع عن تلك المرتبة الإحاطيّة.

وهناك ستّة مصاديق ممّا أشير إليه في القرآن الكريم:

المصداق الأول: الإحصاء

كما في قوله تبارك وتعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ}** [سورة الحجّ: ٧٠]، فالكتاب هنا كناية عن الإحصاء، وهذا مصداق من المصاديق التي تفرّعت عن تلك الإحاطة، فإنّ جميع ما في الوجود لا يصعب إحصاؤه عليه **{إِنّ ذلكَ عَلى اللهِ يسيرٌ}**.

المصداق الثاني: وعاء القرآن الكريم قبل نزوله

إن القرآن الكريم قبل نزوله كان في كتاب، وهذا ما أشار إليه قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ}** [سورة الواقعة ٧٧-٧٩]، وكذلك قوله عزّ وجلّ: **{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}** [سورة البروج: ٢١-٢٢]؛ وذلك الوعاء الذي كان يتضمّن القرآن هو مصداق من مصاديق إحاطته تبارك وتعالى.

المصداق الثالث: وعاء القضاء والقدر

كما في قوله تبارك وتعالى: **{مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ}** [سورة الحديد: ٢٢]، أي أنّ كلّ ما يقع عليكم قد قُدّر؛ لأنّ إحاطته تبارك وتعالى بجميع ما وُجد وما هو موجود تفرّع عنها تقدير الأشياء، فكلّ شيء له حدود، وكلّ شيء له مبدأ ومنتهى، فحدود كلّ شيء هي ممّا تفرّع عن إحاطته تبارك وتعالى، وتلك الحدود هي عبارة عن وعاء القضاء والقدر.

المصداق الرابع: خارطة الوجود

١-كما في قوله تعالى: **{وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}** [سورة الأنعام: ٣٨]، فإنّ معنى قوله: **{ما فرّطنا في الكتاب**

من شيءٍ} يعني أنّ هذا الوجود كتابٌ اشتمل على ألوان المخلوقات وأصنافها، سواءٌ كان ممّا يدبّ على الأرض، أو ممّا يطير.

٢–وكذلك يشير إلى هذا المعنى قوله تبارك وتعالى: **{قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}** [سورة النّمل: ٤٠]، فالمراد بالعلم من الكتاب هنا العلم بأسرار الكون والوجود، فلأجل علمه ببعض أسرار الكون استطاع أن يتصرّف في الكون بنقل عرش بلقيس من مكانٍ إلى مكانٍ آخر قبل أن يرتدّ طَرْف سليمان (عليه السلام).

المصداق الخامس: الحُكم الشّرعيّ

قال تبارك وتعالى: **{ولا تعزمُوا عقدة النّكاحِ حَتّى يبلغَ الكتابُ أجلَه}** [سورة البقرة: ٢٣٥]، والمقصود بالكتاب هنا "العدة"، والمراد: أن لا تنكح المرأة بعد موت زوجها إلا بعد انقضاء العدة؛ فعبّر عن العدة بأنّها كتاب، أي: حكم شرعيّ مرسومٌ من قِبله تبارك وتعالى.

المصداق السّادس: القرآن الكريم

فإنّ القرآن الكريم مصداقٌ من المصاديق التي تفرّعت عن إحاطته تبارك وتعالى، قال عزّ مِن قائل: **{إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ}** [سورة الأحقاف: ٣٠].

وقال عنه في هذه الآية المباركة **{الم * ذلك الكتابُ لا ريب فيه هدىً للمتقينَ}** [سورة البقرة:1-2].

والكتاب هو القرآن الكريم.

المطلب الثّاني: المراد بـ(ذلك)

يُقال في العربيّة: "ذلك" اِسم إشارة للبعيد، إلا أنّ السيّد السّبزواريّ (قدّس سرّه) ناقش في أصل ذلك، وفي تطبيقه على الآية المباركة: **{ذلك الكتاب لا ريب فيه}**؛ حيث قال (قدّس سرّه): **(هذا مع أنّ هذا البحث ساقطٌ بالنّسبة إلى ما ينزل منه عزّ وجلّ؛ إذ لا يُتصوّر بُعد وقرْب بالنّسبة إليه تعالى، قال تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ) [سورة الحديد ، الآية : ٤]، فهو قريب في عين بعده، وبعيد في عين قربه)**. [مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، السيّد عبد الأعلى السبزواريّ، مؤسسة أهل البيت (ع)، ج١، ص٦٦].

فكأنّه يقول: إنّ دعوى وضع اسم الإشارة للبعيد لا تتناسب مع استخدامه من قِبل الذّات الإلهيّة؛ إذ لا يوجد بعيد وقريب بالنسبة إليه تبارك وتعالى، فلا يصحّ أن يقال بأنّ كلمة "ذلك" في المقام اسم إشارة للبعيد، ولا معنى لِتصوّره فيما ينزل من الله تبارك وتعالى.

وأشار (قدّس سرّه الشّريف) إلى وجهٍ آخر، وهو أنّ القرآن الكريم استعمل في مقام الإشارة إلى القرآن الكريم لفظ "هذا" بدلاً من "ذلك" في عدّة موارد، منها:

١-قوله تعالى: (**إِنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي للتِي هِيَ أقومُ**) [سورة الإسراء: ٩].

٢-وقوله سبحانه: (**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ**) [سورة الأنعام: ١٩].

٣-وقوله عزّ وجلّ: (**ولَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**) [سورة الروم: ٥٨].

فعُلم مِن ذلك أنّ القرآن الكريم جمع بين التعبيرين، فتارة يقول "ذلك" وأخرى يقول "هذا"، وهذا يدلّ على عدم وجود قرْب أو بعْد مكانيّ للقرآن الكريم، وإلا لما تعدّد التعبير.

ومنتهى ذلك أن نقول: هذا القرآن هو قريب وهو بعيد في آنٍ واحد؛ فهو قريبٌ من حيث نظمه وأسلوبه وقصصه، وهو بعيد من حيث متشابهاته ودقائقه.

فاستعمال القرآن اسم الإشارة للبعيد وللقريب إشارة إلى أنّ القرآن بوجوده الذي بين أيدينا قريب وبعيد، وهذا القرب والبعد إضافيّ بلحاظ وجود واحد.

ولكن يلاحظ على ما أُفيد مِن قِبله (قدّس سرّه):

أنّ هناك فرقاً بين نسبة الأشياء إليه، وبين نسبتها إلى عالم الإمكان.

فإذا نظرنا إلى نسبة الأشياء إليه تبارك وتعالى فليس هناك قُرب ولا بُعد؛ فالأشياء متساوية النّسبة بلحاظ إضافتها إليه تبارك وتعالى.

وهذا ما ورد عن الإمام الصّادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: **{الرّحمنُ عَلى العرش استوى}** [سورة طه: ٥]):

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِالله (عليه السلام) عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: (**الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى**)؛ فَقَالَ: (**اسْتَوى فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ، اسْتَوى فِي كُلِّ**

شَيْءٍ). [الكافي، الشيخ الكلينيّ، طبعة دار الحديث، الباب 19 باب الحركة والانتقال، ج١، ص٣١٦-٣١٧، ح٨]؛ لكن إذا نظرنا إلى الأشياء بلحاظ عالم الوجود والإمكان فهي متفاوتة في القرب والبُعد بلا إشكال؛ فعالم الجنّ أبعد عن عالم الإنسان مِن الإنسان نفسِه، بل في من عالم الإنسان نفسه هناك قرْب وبعْد حقيقي، فهناك وجودات قريبة حقيقةً، وهناك وجودات بعيدة حقيقةً، فالأشياء بلحاظ عالم الإمكان تتّصف بالقرب والبعد اِتصافاً حقيقيّاً.

ولأجل ذلك إذا نظرنا إلى القرآن فهو لا يتحدّث عن إضافة القرآن إليه تعالى، بل يتحدّث عن إضافة القرآن إلى عالمنا عالم الإمكان، فقوله: **{الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه}** إشارة إلى الكتاب بلحاظ المتلقي للكتاب، فالقرآن بلحاظ المتلقي له يمكن أن يتّصف بالقرب والبُعد الحقيقيّين؛ فهذا القرآن له وجودات كما سيأتي بيانه في المطلب الثالث، فهو بلحاظ بعض وجوداته بعيد، وبلحاظ بعض وجوداته الأخرى قريب؛ لا أنّ هذا الوجود الواحد وهو وجود الألفاظ هو قريب وهو بعيد باختلاف الحيثيّات والجِهات.

المطلب الثالث: وجه تعدّد أسلوب الإشارة للقرآن الكريم

لماذا عُبّر في بعض الآيات باسم الإشارة النّاظر إلى البعيد، كقوله تعالى: (ذلك الكتاب)، بينما عبّر في آيات أخرى باسم الإشارة النّاظر إلى القريب كما في قوله عزّ وجلّ: **{إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}** [سورة الإسراء: ٩]؟

يمكن ذكر وجهين في المقام:

الوجه الأوّل:

ما تقدّم مِن أنّ للقرآن الكريم وجودات متعدّدة، فعندما ننظر إلى قوله تعالى: **{وإنّه فِي أمِّ الكتابِ لدينا لعليٌّ حكيمٌ}** [سورة الزخرف: ٤] فهو إشارة إلى وجود من وجوداته، وعندما ننظر إلى قوله تعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}** [سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤] فهو إشارة إلى وجود آخر، فللقرآن وجود في أمّ الكتاب، وللقرآن وجود في قلب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وللقرآن وجود في عالم الألفاظ **{وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له}**، فالقرآن بلحاظ بعض وجوداته قريب فيُشار إليه بـ (هذا)، وبلحاظ بعضها الآخر بعيد فيُشار إليه بـ (ذلك).

الوجه الثاني:

اختلاف الحيثيّة والكناية؛ فمرّة ينظر إلى القرآن الكريم من حيث كونه مكتوباً، وأخرى ينظر إليه من حيث كونه مقروءاً، والباري جلّ وعلا عندما قال: **{ذلك الكتاب}**، فهو ناظر إلى حيثيّة كونه مكتوباً؛ لأنّه كُتب بيد الغيب لله تبارك وتعالى، وأمّا إذا لوحظ القرآن من حيث كونه مقروءاً، فله آثار معينة كالهداية التي تحصل للإنسان مِن خلال قراءته وترتيله وتداوله، لذلك قال: **{إنّ هذا القرآن يهدي}**، أي أنّ قراءة هذا القرآن لها تأثيرٌ إعداديّ لوصول الإنسان إلى درجة الهداية؛ فهو قريب لأنّه بيد الإنسان نفسِه، يقول الباري جلّ وعلا: **{وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ}** [سورة المائدة: ٨٣].

المطلب الرابع: إشكالٌ ودفع

قد يُقال: هذه السّورة من أوائل السور المدنيّة، **بل قيل:** إنّها أوّل سورة نزلت في المدينة، فلم يكن هناك كتاب مكتمِل حتى يقال: (ذلك الكتاب)، وإنّما كانت هناك بعض الأجزاء وبعض السّور، فكيف أشير إليه بعنوان (الكتاب)؟

والجواب عنه واضح: وذلك بأحد وجهين:

الوجه الأول:

أنّ بعضَ الكتاب يُعبّر عنه بالكتاب في اللغة العربية، ولذلك عُبّر عن بعض القرآن بالقرآن، كما في قوله تعالى: **{وإذا قُرئ القرآن}**، مع أنّه من الواضح أنّه قد يقرأ سورة من القرآن، لا تمام القرآن، وقال تبارك وتعالى عن لسان الجنّ: **{إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرّشد}** [سورة الجن: ١-٢]، مع أنّه ليس بالضرورة أنّهم سمعوا القرآن كلّه، فالاستعمال يصحّ حتّى لو استمعوا لبعضه.

الوجه الثاني:

توجد آية في القرآن الكريم تشير إلى نكتةٍ دقيقةٍ، وهي قوله تعالى: **{كتاب أُحكمت آياتُه ثُمّ فُصّلت من لدن حكيم خبير}** [سورة هود: ١]؛ فهذه الآية واضحة الدّلالة على أنّ القرآن مرّ بمرحلتين: مرحلة الإحكام، ومرحلة التّفصيل، ففي مرحلة الإحكام كان القرآن مجموعة من المعاني الشّامخة، ثمّ لما حُوّل إلى ألفاظٍ عربيّة دخل إلى مرحلة التّفصيل، قال تبارك وتعالى: **{إنّا جعلناه قرآنًا**

عربيًّا لعلّكم تعقلون} [سورة الزخرف: ٢]، وقبل هذه المرحلة كان في مرحلة الإحكام **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** [سورة الزخرف: ٣]، وقال جلّ وعلا: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}** [سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

المطلب الخامس: الفرق الدلاليّ للقراءتين في الآية المباركة

هناك قراءتان للآية لدى العامّة:

١-القراءة المعروفة: **{الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين}**.

٢-القراءة الثانية: **{الم * ذلك الكتاب لا ريب * فيهِ هدىً للمتّقين}**.

وهاتان القراءتان تشيران إلى معنيين محتملين في الآية المباركة؛ فبناءً على القراءة الأولى يكون ما بعد (ذلك الكتاب) خبران، فتُعرب (هدىً للمتّقين) على أنّها خبرٌ بعد خبر؛ حيث أُخبر عن الكتاب أوّلاً بأنّه (لا ريب فيه) ثمّ أخبر عنه ثانيًا بأنّه هدى للمتقين، والخبر الأول (لا ريب فيه) إشارة إلى مضمون القرآن، فكما أنّ مضمون القرآن هدى للمتّقين، فإنّ مضمونه أيضاً (لا ريب فيه).

بينما على القراءة الأخرى **{الم* ذلك الكتاب لا ريب * فيهِ هدى للمتقين}**، فإن (لا ريب) ليست إشارة للمضمون، بل تشير إلى التّطابق بين (الم) والكتاب، فـ(الم) هي ذلك الكتاب، كما في قوله تبارك وتعالى في آية أخرى: **{الر * تلك آياتُ الكتابِ الحكيم}** [سورة يونس: ١]، فـ(الر) تشير إلى معانٍ معيّنة هي آيات الكتاب، وبالتالي فالمراد بنفي الريب في الآية هو إثبات العلاقة بين مضمون (الم) وبين الكتاب، وليس المراد نفي الريب عن مضمون القرآن الكريم.

مضافاً إلى أنّنا لو أخذنا بالقراءة المشهورة وهي قوله عزّ وجلّ: **{الم * ذلك الكتابُ لا ريب فيهِ هدى المتّقين}** فمقتضاها تقدّم الصفة السلبيّة على الصفة الإيجابية، فـ(لا ريب فيه) صفة سلبيّة، و(هدىً للمتّقين) صفة إيجابيّة، وإنّما قُدّمت الصّفة السّلبيّة على الصّفة الإيجابيّة للإشارة إلى أنّه إنّما كان هدىً للمتقين؛ لأنّه لا ريب فيه، فنتيجةً لانتفاء الريب عنه أصبح هدى للمتّقين، ونظير ذلك ما جاء في قوله تبارك تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّمًا}** [سورة الكهف: ١-٢]؛ إذ (لم يجعل عوجاً) صفة سلبيّة و(قيّماً) صفة إيجابيّة.

المطلب السادس: دفع إشكاليّة تحقّق الرّيب في القرآن الكريم

قد يُقال: هذه الآية تدلّ على نفي الرّيب عن القرآن الكريم **{ذلك الكتاب لا ريب فيه}**، مع أنّ هناك من ارتاب في القرآن الكريم، والقرآن نفسه أشار إلى ذلك بقوله تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}** [سورة التوبة: ٤٥]، فكيف يقول القرآن الكريم: (ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيهِ)؟

والجواب عن هذا الإشكال بأحد وجهين:

الوجه الأوّل:

أنّ المراد بالرّيب الاضطراب، وليس المراد بالرّيب الشّك، فالآية لا تريد القول بأنّ القرآن لا شكّ فيه؛ فقد وقع الشّك فيه من قِبل غير المؤمنين، وإنّما تريد أن تقول بأنّ هذا القرآن إذا قرأه أيّ شخص سواءٌ كان مؤمناً أو ملحداً فلن يجد فيه اضطرابًا، وكأنّ هذه الآية تلتقي مع قوله تعالى: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}** [سورة النّساء: ٨٢]، فالمراد بالاختلاف: الاضطراب والتّهافت.

ولعلّ المقصود في الخبر المنسوب إلى النّبي (صلّى الله عليه وآله): **(دع ما يريبُك إلى ما لا يريبك)** [كنز العمّال، ج٣، ص٧٩٧]، أي: اخرج من الطّريق الذي يوجب لك اضطراباً إلى الطّريق الذي لا يوجب لك اضطراباً.

وبعضهم فسّر هذا العنوان الوارد في مقبولة عمر بن حنظلة في قوله (عليه السّلام): **(فَإِنَّ اَلْمُجْمَعَ عَلَيْهِ لاَ رَيْبَ فِيهِ)** [تهذيب الأحكام، الشّيخ الطوسيّ، كِتَابُ اَلْقَضَايَا وَاَلْأَحْكَامِ، الباب (٩٢): بَابٌ مِنَ اَلزِّيَادَاتِ فِي اَلْقَضَايَا وَاَلْأَحْكَام، ج٦، ص٣٠١]، بأنّ ما أجمع عليه رواة الإماميّة وأصحابهم ليس فيه اختلاف ولا اضطراب، بل هو قولٌ واحدٌ.

وبعضهم فسّر قوله تعالى: **{أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}** [سورة الطور: ٣٠]، بهذا المعنى، فالرّيب هنا ليس بمعنى الشكّ، بل المراد اضطراب المنون، فكثير من النّاس قبل أن يموت يمرّ بفترة اضطراب، تضطرب أحواله وتختلف أقواله، فكأنّ المشركين يقولون: إنّنا ننتظر بأن تمرّ على النبي

(صلى الله عليه وآله) فترة يعرضه الهذيان والتقلّب والاضطراب، وهي الفترة القريبة من موته **{أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}**.

الوجه الثّاني:

أنّ هناك فرقاً بين وجود الرّيب وبين قابليّة الريب؛ فالآية المباركة لم تنفِ وجود الرّيب، إنّما نفت قابليّة الرّيب، أي أنّ هذا القرآن الكريم إذا نُظر إليه مِن خلال النّفس البشريّة وُجد الرّيب؛ ذلك لأنّ النّفس البشريّة تعرُضها الأهواء والأمراض، وقد ترتكز وتترسّب فيها قبليّات ثقافيّة مختلفة تقود للشك، وأمّا إذا نُظر إليه من خلال ذاته فهو غير قابل للرّيب قال تبارك وتعالى: **{أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها}** [سورة محمّد: ٢٤].

وهذا نظير قوله تبارك وتعالى في وصف يوم القيامة ويوم المعاد: **{فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ}** [سورة آل عمران: ٢٥]، أي إذا نظرتم إلى هذا اليوم بما هو هو فهو ممّا لا ريب فيه، وإذا نظرتم إليه مِن زوايا أنفسِكم وما بها من الأمراض والرّواسب فقد يحصل الرّيب، كما قال تبارك وتعالى في آية أخرى: **{بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ}** [سورة النّمل: ٦٦].

والحمد لله رب العالمين